للمريد الصادق وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت
اسبابها انكشف لكل خارج من اسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة
فهمه **اما الفهم** اعلم انه لا وصول الى الله سبحانه وتعالى الا بالتنزه عن الشهوات والكف
عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله تعالى في جميع الحركات والسكنات ولاجل
هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش
عن الخلق لطلب الانس بالله عز وجل فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة والزموا انفسهم
المجاهدات الشاقة طمعا في الاخرة واثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال ذلك **بان
منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون** فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع
الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل وفتروا عنها بعث الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
لاحياء طريق الاخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله اهل الملل عن الرهبانية
والسياحة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم ابدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني
الحج **وسئل** صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون فانعم الله عز وجل على هذه الامة
بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه تعالى ونصبه مقصدا
لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه
واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار
من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له
خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن ان يحويه بيت او
يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك
وظف عليهم فيها اعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار
بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال
الرق والعبودية فان الزكاة ارفاق ووجهه مفهوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر
للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة وبالكف عن الشواغل والركوع والسجود
في الصلاة تواضع لله عز وجل بافعال هي هيئة التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله
عز وجل فاما ترددات السعي ورمي الجمار بالاحجار وامثال هذه الاعمال فلا حظ للنفوس
ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل في معانيها فلا يكون للاقدام عليها باعث الا الامر

الحج

١١٢

المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه
وصرف الطبع والانس عن محل طبعه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما
فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد
لذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك
في صلاة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بان تكون اعمالهم على
خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد
وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدي الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية
النفوس فصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت
لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار
التعبدات وهذا القدر كاف في تفهم اصل الحج ان شاء الله تعالى **واما الشوق** فانما
ينبعث بعد الفهم والتحقيق بان البيت بيت الله عز وجل وانه وضع على مثال حضرة
الملوك فقاصده قاصد الى الله عز وجل وزائر له وان من قصد البيت في الدنيا جدير
بان لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر الى
وجه الله الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية في دار الدنيا
لا تتهيأ لقبول نور النظر الى وجه الله عز وجل ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال
به لقصورها وانها ان امدت في الاخرة بالبقاء ونزهت عن اسباب التغير والفناء
استعدت للنظر والابصار ولكنها بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقاء رب البيت بحكم
الوعد الكريم فالشوق الى لقاء الله عز وجل يشوقه الى اسباب اللقاء لا محالة هذا
مع ان المحب مشتاق الى كل ماله الى محبوبه اضافة والبيت مضاف الى الله عز وجل فبالحري
ان يشتاق اليه لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب
الجزيل **واما العزم** فليعلم انه بعزمه قاصد الى مفارقة الوطن ومهاجرة الشهوات
واللذات متوجها الى زيارة بيت الله عز وجل فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب
البيت وليعلم انه عزم على امر رفيع شانه خطر امره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم
وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه وتعالى بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق
انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك

Copyright © King Saud University